الاتجاهات النظرية في دراسة الطبقة الاجتماعية والصحة الإنجابية

اعداد

أ/ نسيبة حمدي لطيف

باحثة ماجستير بقسم الاجتماع –كلية الأداب– جامعة بني سويف

اشراف

أ.د مصطفى خلف عبد الجواد

قسم الاجتماع –كلية الأداب

جامعة بني سويف

د/ حسن ابراهيم حسن

قسم الاجتماع –كلية الأداب

جامعة بني سويف

المستخلص:

يهدف البحث الراهن إلي التعرف علي الاتجاهات النظرية في دراسة الطبقة الاجتماعية والصحة الإنجابية، رصد القضايا الأساسية لكل نظرية، ويركز البحث علي نظريات الماركسية، الماركسية المحدثة، العولمة، ما بعد الحداثة، نموذج المعتقدات الصحية، الدور، التفاعلية الرمزية، الرأسمال وقد توصلت الدراسة إلي وجود نظرية الماركسية ونظرية الماركسية المحدثة ونظرية العولمة و نظرية ما بعد الحداثة ونموذج المعتقدات الصحية ونظرية التفاعلية الرمزية.

الكلمات المفتاحية: الاتجاهات، الطبقة الاجتماعية، الصحة الإنجابية، الماركسية المحدثة، العولمة، المعتقدات الصحية.

Abstract:

Current research aims to identify theoretical trends in studying social class and reproductive health research focuses on Marxist theories. New Marxism, globalization, postmodernism, healthy belief model, role, the study found the existence of Marxism theory, modernized Marxism theory, globalization theory, postmodernism theory, health belief model, and symbolic interactive theory.

Keywords: Trends, social class, reproductive health, modernized Marxism, globalization, health beliefs.

مقدمة:

تعد النظرية والاتجاهات الفكرية بمثابة مجموعة من القضايا المنطقية المجردة والمقبولة نسبياً، التي تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر. و أدّى دوراً أساسيا في توجيه البحث والملاحظة وتساعد الباحث علي تحديد المتغيرات أو العناصر الهامة في نطاق دراسته. (1)

وهناك اتفاق عام بين الباحثين علي أن البحث الجيد لا بد وأن ينطلق من نظرية، وأن تكون فروضه وتساؤلاته مستمده من نظرية وكيان نظري، حيث إن النظريات "عموماً" لا تقدم تفسيرات للأشياء الملاحظة فحسب، ولكنها تصلح كذلك كمصدر مهم لفروض جديدة. (2)

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث الحالي في الكشف عن تأثير الاتجاهات النظرية في تفسير العِلاقة بين الطبقة الاجتماعية والصحة الإنجابية، ورصد القضايا الأساسية للاتجاهات النظرية.

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من أهمية الاتجاهات النظرية لمحل الدراسة حيث تعد الاتجاهات النظرية أساساً مهماً في علم الاجتماع .

تساؤلات:

وتحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

1- ما القضايا الأساسية التي تطرحها الاتجاهات النظرية حول الطبقة الاجتماعية؟

2- ما أبرز المفاهيم التي تطرحها هذه الاتجاهات؟

3- ما أهم القضايا التي تتناولها الاتجاهات النظرية في دراسة الصحة الإنجابية؟

4- ما مدي أهميتها في تفسير العِلاقة بين الطبقة الاجتماعية والصحة الانجابية؟

منهجية البحث:

وتعتمد الدراسة علي المنهج التاريخي النقدي بالرجوع إلي عرض نشأة النظرية، والاعتماد علي تحليل مضمون كتابات أصحاب النظرية ونقادها.

وسوف نستعرض في هذا الفصل النظريات المفسرة للطبقة الاجتماعية، وبعض نظريات الصحة الإنجابية، وفي نهاية الفصل عرض للإطار المرجعي للدراسة.

أولاً: الاتجاهات النظرية المفسرة للطبقة الاجتماعية:

إن مشكلة نشوء وتطور الطبقات في المجتمعات الحديثة تحتل أهمية نظرية وعملية كبيرة في فهم طبيعة تطور العلاقات الطبقية والصراعات في المجتمعات المعاصرة. (1) ولذلك تعد دراسة الطبقات الاجتماعية احد الموضوعات المهمة التي تثير جدلاً واسع النطاق، نتيجة للتباينات الفكرية، والاتجاهات الإيديولوجية بين الفكرين، كما أنها تعد من اهم المفاهيم الأساسية في أي بناء اجتماعي قائم. (2)

الاتجاهات الكلاسيكية المفسرة للطبقة الاجتماعية:

ولقد تعددت الرؤى النظرية للطبقة الاجتماعية فهناك البنائية الوظيفية ومن أهم علمائها "ماكس فيبر وتالكوت بارسونز وولبرت مور" والتي رأت أنه ليس هناك مجتمع بلا طبقات، فلا يمكن أن يستمر مجتمع ما في وجوده دون تدرج طبقي يقوم علي عدم

المساواة في توزيع الامتيازات والمكافآت. (1)

ومنذ منتصف الثمانينيات تواصلت الجهود لإحياء الوظيفية البنائية أو ما اطلق عليه (الوظيفية الجديدة وقد حاول بعض الوظيفيين التقارب مع الاتجاهات الماركسية مع الارتكاز علي المفاهيم الفيبريه. ومن أهم رواد هذا الاتجاه "ورالف دارندورف وبيتر سوروكين". (2)

1- النظرية الماركسية: Marxism theory

يعد مفهوم الطبقة الاجتماعية من المفهومات الأساسية في النظرية الماركسية، فهو المدخل الأساسي في تحليل العلاقات البنائية، وتعد العلاقات الطبقية أساس تفسير حالة المجتمع وتطوره، وتعرف النظرية الماركسية الطبقة الاجتماعية بانها "جماعة متماثلة في عِلاقة أعضائها

(1) محمود عبد الفضيل، التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي (دراسة تحليلية لأهم التطورات والاتجاهات خلال المدّة 1945-1985)، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1988، صـ15.

(2) مؤمن كمال الشافعي، الدولة والطبقة الوسطي في مصر، دار قباء، القاهرة، 2010، صـ138.

(1) غريب سيد احمد، الطبقات الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995، صـ126.

(2) المرجع نفسه، صـ130.

(3) نجاح حسن حمد الهبارنة، الطبقة الاجتماعية وعلاقتها بالسلوك الديني في المجتمع الأُرْدُنّيّ: دراسة سوسيولوجية، رسالة دكتوراه، كُلّيَة الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2016، صـ 26.

(4) المرجع نفسه، صـ27.

المتماثلة بوسائل الإنتاج وعملية الإنتاج" وبهذا فأساس الطبقة كمفهوم اقتصادي يتضمن بعد القوة ويتضمن اجتماعياً وضعاً مكانياً في البناء الاقتصادي. (3)

ومن اهم تصورات النظرية الماركسية حول الطبقات والصراع الطبقي تتلخص في أن مفهوم الطبقة يعدّ احد المفاهيم المحورية في دراسة الصراع الطبقي، ووحده أساسية للتحليل والوصف كما أن قضية الصراع تعد احد الأبعاد الأساسية للمجتمعات الإنسانية، كما أن الطبقات تتحدد وفقاً لموقعها من ملكية وسائل الإنتاج ووعيها بذاتها وبمصالحها المشتركة، كما أن البناء الفوقي يظهر بدوره قضية الصراع الطبقي ويحدد اطارها داخل المجتمعات وان النتيجة البنائية للصراع تتلخص في احداث تغيرات في ابنية المجتمع وتكوين هيكل اجتماعي واقتصادي بدلاً من اخر ومن ثم سيادة طبقة البروليتاريا بدلاً من البرجوازية. (4)

ويعد كارل ماركس من ابرز المفكرين الكلاسيكيين تأثيراً في التراث النظري لدراسة الطبقات الاجتماعية، وقد ذهب بعض المعاصرين الي أن ماركس قد استعمل مفهوم الطبقة ليعبر عن طيف واسع ومتنوع من الظواهر والعمليات والبناءات، وفي بعض الأحيان استعمله بشكل نظري مجرد، وبصورة مباشرة في أحيان اخري. ولكنه وظفه أيضاً بشكل محدد يجسد مفاهيم مثل الشرائح والمنزلة الاجتماعية كما وظفها احيانا للإشارة إلي جماعات متباينه من الأفراد والتي هي علي المستوي النظري لا تشمل سوا قطاعات أو أقسام داخل الطبقة ذاتها. (1)

ويري ماركس انه يوجد في أي مجتمع طبقي، طبقتين اجتماعيتين أساسيتين، فا في المجتمع الرأسمالي مثلاً هناك الملاك الرأسماليون أو "البرجوازية" والذين لا يملكون قوة عملهم (البروليتاريا) وهناك صراع طبقي بين هاتين الطبقتين، بحكم تناقض مصالحهما، فالعمال هم الذين ينتجون القسم بفضل عملهم وجهودهم، في الوقت الذي ينتزع فيه من لا يعملون فائض القيمة. ويحدد ماركس انه لن يحل الصراع الا بالثورة علي هذا النظام الإنتاجي الذي يقوم علي الاستغلال. (2)

ويؤكد ماركس أن الصراع الطبقي في المجتمع في أي مرحلة تاريخية كان هو الظاهرة الفعالة والمحركة للتاريخ، والمؤدية الي انتقال المجتمع من نظام وتكوين اخر عبر مسيرته التاريخية، وتعد الملكية في نظر ماركس كمصدر للدخل بين "معايراً موضوعياً لقياس الطبقة وبناءاً علي ذلك فان المجتمع الرأس مالي يحوي طبقتين هما الطبقة المالكه، والطبقة العاملة. (3)

وقد درس ماركس المجتمعات القديمة والمعاصرة بهدف توجيه مجري التاريخ، وذهب إلي أن النسق الاقتصادي يعد المصدر النهائي للسلوك الاجتماعي والنظم الاجتماعية. (4)

ويري ماركس أن الطبقات ظهرت عندما تطور الإنتاج، بحيث اصبح بعض الأفراد يمتلكون فائض عمل غيرهم مما مكنهم من استغلال جماهير المنتجين، وبهذا أصبحت طبقة من الناس تسيطر علي طبقة اخري، كما يري ماركس ان عِلاقة الطبقة بوسائل الإنتاج هو العامل الأساسي المحدد لموقعها ودورها في الإنتاج الاجتماعي وأيضاً المحدد لكيفية حصولها علي الدخل وحجم هذا الدخل. (1)

ويري الماركسيين أن الطبقة "هي تجمع لأشخاص يؤدون نفس الوظيفة في تنظيم الإنتاج، وتختلف الطبقات عن بعضها البعض علي أساس أوضاعها الاقتصادية". أي أن أسلوب الإنتاج هو الذي يهئ الظروف لوجود الطبقة الاجتماعية. (2)

ويري عبد الباسط عبد المعطي أن ظهور التحليل الماركسي للطبقات كان نقطة تحول علمي في دراسة الطبقات علي مستوي التنظير والتحليل التاريخي والإمبريقي. (3)

2- النظرية الماركسية المحدثة: New Marxism theory

من أهم أنصار الماركسية المحدثة نيكوس بولانتزاس Nicos Poulsntzas، وإيريك أولين رايد A.O.Wright واخرون. وهويطلق أنصار هذا الاتجاه عليه اسم المركسية التحليلية

(1) احمد حسين، مفهوم الطبقة الاجتماعية: المحددات الذاتية والموضوعية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، مج.5، ع2، محكمة، 2013، صـ105.

(2) سعيد محمود مرسي عطيه، التعليم الجامعي والطبقة الاجتماعية في مصر: دراسة ميدانية، مجلة كُلْيَة التربية، جامعة الزقازيق، ع21، محكمة، 1994، صـ254.

(3) مرجع سابق، صـ256.

(4) طلعت إبراهيم لطفي، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، صـ77.

(1) سمير نعيم، نظرية في علم الاجتماع (دراسة نقدية)، القاهرة، 1982، صـ197.

(2) غريب سيد احمد، الطبقات الاجتماعية، مرجع سابق، صـ95.

(3) عبد الباسط عبد المعطي، الطبقات الاجتماعية ومستقبل مصر، مرجع سابق، صـ20.

(4) عبد الباسط عبد المعطي، الطبقات الاجتماعية ومستقبل مصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2002، صـ24.

Analytical Marxism. ويقوم هذا الاتجاه علي فكرة أن الماركسية لا تزل منهجاً صالحاً لتحليل التغيرات التي طرأت علي النظام الرأسمالي. (4)

ويبدأ الماركسيون الجدد تناولهم لمسائل الطبقات الاجتماعية بالتأكيد علي أن ماركس أكسب التصور العام للطبقة الاجتماعية معني سوسيولوجي، فتصوره ليس استاتيكياً سكونياً كما فعل السابقون عليه، كما انه جعل من الطبقة مقولة تحليلية وتفسيرية لكثير من الظاهرات الاجتماعية،

فضلاً عن تحديده لها تحديداً موضوعياً بواسطة موقعها من نظام الإنتاج، والتنظيم الاجتماعي للعمل. (1)

ويعد نيكوس بولا نتزاس احد ممثلي مدرسة الماركسين المحدثين، وقد جاءت الطبقة لديه في المرتبة الثانية بعد قوة الدولة ويري أن الطبقة تحدد تحديداً هيكلياً بثلاثة محددات هي: المستوي الاقتصادي و المستوي السياسي والمستوي الأيديولوجي وذلك في كتابه البرجوازية الصغيرة. وبذلك يري ان البعد الاقتصادي وحده قاصراً بالرغْم من أهميته، لذلك لابد من أخذ الأبعاد الأخرى عند مناقشة الانتماء الطبقي. (2)

ويري أن أساس نشأة الطبقات، لا يأتي انعكاسا لمستوي بنيوي منفصل بذاته كالمستوي السياسي أو اقتصادي مثلا، إنما عدّ الطبقة الاجتماعية انعكاسا كليا لمجمل أبنية المجتمع في مجال العلاقات الاجتماعية، ولا يغفل بولانتزاس في هذا الصدد عن دور توزيع عوامل الإنتاج، واعتبارها مراكز العلاقات الاجتماعية بين الطبقات الاجتماعية، أي إن الطبقة الاجتماعية هي انعكاس لكل أبينة المجتمع، أي أنها انعكاس لمصفوفة أساليب الإنتاج. (3)

3- النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت: critical theory

تأسست هذه المدرسة علي يد كل من هوركهايمر ثم ماركز ويمثلها في المرحلة الثانية يورجين هابرماس، ثم بيير بورديو. (4)

ودعت هذه المدرسة الي مراجعة للأفكار الماركسية وعملت علي تحديثها لتكون أكثر انسجاماً مع متطلبات القرن العشرين. (1)

---

(1) عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، الكويت، 1981، صـ154.

(2) محمود عبد الفضيل، التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي (دراسة تحليلية لأهم التطورات والاتجاهات خلال المدّة 1945-1985)، مرجع سابق، صـ47.

- **يورجين هابرماس Jurgen Habermas**

توصل هابرماس إلي أن كثير من تحليلات ماركس للنظام الرأسمالي صحيحه ولكن تنبوأته كانت في معظمها خاطئه، ويري هابرماس ان المجتمع الرأسمالي تغير تغيراً شديداً بدرجة لم يعد معها بالإمكان استخدام المقولتين الرئيستين للنظرية الماركسية وهما النضال الطبقي والايديولوجيه.(2)

- **بعض أراء بيير بورديو عن الطبقة: يعتمد مدخل بورديو في فهم الطبقة علي ما يسمي النظم الرمزية، وهي العنصر الذي لا يوجد له مكان في نظريات الفعل وعليه فإن بورديو يرفض في تحليله للطبقات الاجتماعيه تقسيمها وفقاً لمقاييس اقتصاديه وإحصائيه بحته كما فعل ماركس وفيبر، ويري بورديو ان الطبقات الاجتماعيه توجد علي مستويين: المستوي الأول تلك الموضوعيه التي ترسمها تقسيمات الملكية المادية، والمستوي الثاني من خلال التصنيفات والتمثلات المتناقضة. (3)**

كما تتولد عن الأعضاء الفاعلين بناءاً علي معرفة بالتقسيمات كما تتجلي في أساليب العيش. هذان النمطان من الوجود ليس مستقلين احدهما عن الأخر، رغم أن التمثلات تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي بالنسبة للتقسيمات. إن التمثيل الذي يكون لدي الأفراد عن وضعهم في الفضاء الاجتماعي يتولد عن منظومة من رسوم الإجراء والتطبيق (الهابيتوس) Habitus

التي تتولد بدورها عن وضعيه معينة تحددها المكانة في توزيع الموارد الاقتصادية والرأسمال الرمزي، والتي تدخل في اعتبارها التمثلات التي تكون لدي الآخرين عن هذه الوضعية،

والتي يحدد تجمعها الرأسمال الرمزي، وكتلك المكانة في التوزيع والتي يوجد تعبيرها الرمزي في أسلوب الحياة. (1)

---

(3) نيكوسبولانتزاس، السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية، تَرْجَمَة: عادل غنيم، دار الثقافة الجديدة، الطبعة الكاملة، القاهرة، 1989، صـ69-71.

(4) عصام عبد الله، صـ63-66.

(1) أنتوني جيدنز، 2005، صـ511.

(2) عصام عبد الله، مرجع سابق، صـ5-13.

(3) Elliot B. Wenninger, PIERRE BOURDIUE On Social Class and symbolic violence, P121, http://www.ssec.wisc.edu/wright/found-c4rer.pdf

إن الفضاء الاجتماعي مبني بحيث يكون الفاعلون الذين يحتلون مواقع مماثله موضوعين في شروط متماثله، وخاضعين لاشترطات متماثله، وأمامهم كل الفرص لتكوين استعدادات ومصالح متماثله. (2)

ويري بيير بورديو ان الاختلافات في نمط الحياه من الممكن اعتبارها مظهراً للاختلافات بين الطبقات الاجتماعية، كما ان هناك ارتباطاً كبيراً بين الموقع الطبقي ومايسمي بالهابيتوس. (3)

حيث يمكن تصنيف الطبقات التي ينتمي لها الفاعلون الاجتماعيون من خلال الهابيتوس؛ ويقدم العالم الاجتماعي نفسه علي هيئة فاعلين مزودين بخصائص مختلفة مرتبطة ببعضها وعلي انه نسق رمزي منظم طبقاً بمنطلق الاختلاف وطبقاً لتنوع تمايزي وكفضاء لأساليب حياة مختلفة. (4)

وتدخل الطبقات الاجتماعية سراع رمزي من اجل فرض التصور الذي ترسمه كلٍ من هذه الطبقات عن العالم، ويتم هذا الصراع عن طريق الإنتاج الرمزي الذي يشكل بدورة مجالاً مصغراً للصراع بين الطبقات الاجتماعية. ومن هذا المنطلق فإن الطبقة التي تسود اقتصادياً، ترمي إلي فرض مشروعية سيادتها رمزياً عن طريق إنتاجها الرمزي أو عن طريق اولئك الذين يدافعون عن أيديولوجيا هذه الطبقة.(5)

---

(1) Elliot B. Wenninger, OP. cit, P.124.

(2) بيير بورديو، الرمز والسلطة، تَرْجَمَة: عبد السلام بن عبد العالي، المغرب، دار توبقال للنشر، 2007، صـ 68-69.

(3) بيير بورديو، بعبارة اخري محاولات بإتجاه سوسيولوجيا انعكاسيه، تَرْجَمَة: احمد حسان، القاهرة، دار ميرمت للنشر، 2002، صـ212.

(4) بيير بورديو، بعبارة اخري، محاولات باتجاه سوسيولوجيا انعكاسيه، مرجع سابق، صـ219-220.

(5) علي اسعد وطفه، بين السلطة والتسلط (دراسة تحليلية)، الفكر السياسي، صـ13، www.reefnet.gov.sy/booksproject/fikr/3/alsulta.pdf

(1) Elliot B. Wenninger, OP. cit, P.136.

(2) حسني إبراهيم عبد العظيم، الجسد والطبقة والرأسمال الثقافي: قرأة في سوسيولوجيا بيير بورديو، مجلة إضافات، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد الخامس عشر، بيروت، 2011، صـ68.

(3) Detlef Luck & Ruth Lammer & Wolfgang Bomb, Jop mobilities and family lives in Europe, Working Peper in the European commission, 2006, P11.

وهذا يعني أن الصراع بين الطبقات وداخل فئات كل طبقة يتضمن عنصراً رمزياً لا يمكن تجاهله. (1)

ويتميز بورديو في تحليله للطبقة عن المدارس التقليدية التي تهتم بالطبقة بأن نظريته في الفعل تدور حول مفهوم الهابيتوس الذي عرفه بأنه نظام مشكل اجتماعياً من الاستعدادات التي توجه الأفكار والأفعال والإدراك والتعبيرات، وان مدخل بورديو يعتمد علي الأنساق الرمزية. (2)

- الاتجاهات الحديثة والمعاصرة المفسرة للطبقة الاجتماعية:

تعرض الباحثة في هذه الجزئية أهم الاتجاهات النظرية الحديثة والمعاصرة لدراسة الطبقة الاجتماعية.

1- العولمة: Globalization

تقدم العولمة تصوراً لعملية عالمية تتجاوز الحدود القومية الثقافية والاقتصادية، يتم بواسطتها تبديل الفئات الاجتماعية، وإلغاء التقسيمات القديمة ووحدات الطبقة (السلالة، والنوع) وإقامة أشكال اجتماعية جديدة. (3)

وتعرف العولمة بأنها "عملية اجتماعية تعمل إزالة القيود الجغرافية والاجتماعية أمام الترتيبات أو التصنيفات الاجتماعية" وقد أورد هذا المفهوم ملكوم ويتراس Malcom Waters وجعل من العولمة اتجاها نظرياً له دور كبير في صياغة وتوجيه البحوث. (4)

وتشير كرومبتون الي أن العومة قد ازالت البقايا الأخيرة للتقليدية Traditionalism، ومحت قوي القومية نفسها، وأدت إلي ظهور انصاف للتدريج ذات أصول ثقافية، حيث يتم تصنيف الأفراد علي أساس صفاتهم الشخصية وانجازاتهم، وتعبر الرموز وأساليب الحياة عن احتياجهم. (1) وتتيح العولمة فرص عدّة للأفراد والجماعات والمجتمعات، خارج إطار الدولة الوطنية وتعمل علي تعويم النظم الاجتماعية المحلية سواء الاقتصادية والسياسية والثقافية دون تمييز، ويستشعر الفرد الذي يمتلك المكانة الاجتماعيه انه أمام اختيارات لا حدود لها في جميع الميادين، وانه يستطيع أن يبني هو نفسه ويصنع مكانته بنفسه باستخدام ما توفره له العولمة من موارد وإمكانيات وقدرات وتطلعات وأمال. (2)

2- ما بعد الحداثة: Post – Modernism

(4) Ibid, P11.

قامت ما بعد الحداثة علي فكرة أساسية هي أن الناس يستطيعون المضي قدماً في تنمية هوايتهم ومشروعاتهم باختيار أسلوب حياة حَسَبَ أذاقهم الشخصية وطموحاتهم والتي من الممكن أن يتخلوا عنه إذا اقتضي الأمر، وبذلك أصبح التصرف وفق طبقة اجتماعية أمراً غير موجود، إضافة إلي تأكل القدرة البنائية لهذه الطبقات وأصبح التجانس الداخلي بينها موضع شك في سبب ظهور أساليب حياة متنوعة تم اختيارها من قبل الأفراد وفق أهواء شخصية. (3) الشخصية، ومن ثم تزايد القدرة علي الاستهلاك، وكذلك التنوع الهائل في السلع المتاحة. وبذلك أصبح الاختيارات الاستهلاكية للفرد وأسلوب معيشته هما المكون الأساسي والأكثر أهمية لتشكيل هوية الفرد بدلاً من وضعه الطبقي (سواء حددناه بالمفهوم الماركسي أو الفيبري)[4]

يث تضاءلت أهمية النسق الطبقي وأخذ في التشظي وأصبح الأفراد والجماعات يشكلون هويتهم من الزخم المتدفق من الصور الإعلامية والمنتجات الاستهلاكية. (1)

ويؤكد علي ذلك بودريار (1975-1981) حيث يري أن السلع في المجتمع الاستهلاكي تكتسب قيمة رمزية معينة يشتهيها الناس، فبدلاً من أن يستهلك الناس السلع ذات الماركات العروفة لقيمتها في الاستخدام، يشتري الناس هذه السلع لقيمتها الرمزية، وبذلك تصبح هذه السلع محدداً أساسياً للماكنة الاجتماعية والاقتصادية للأفراد. (2)

---

(1) يسري عبد الحميد رسلان، الاتجاهات النظرية والمنهجية الحديثة لدراسة الحراك الاجتماعي منذ التسعينيات، بحث غير منشور، قسم الاجتماع، كُلْيَة الآداب، جامعة المنيا، 2003، صـ38.

(2) برهان غليون، العولمة وأثارها علي المجتمعات العربية، ورقة بحث مقدمة إلي خبراء اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي أسيا، بيروت، 2005، صـ5.

(3) يانيك لوميل، الطبقات الاجتماعية، تَرْجَمَة جورجيت الحداد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008، صـ107.

(1) مصطفي خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2002، صـ180-181.

(2) المرجع نفسه، صـ433.

(3) جمال درويش، الدولة والمجتمع في مرحلة ما بعد الحداثة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008، صـ22-62.

(4) يسري عبد الحميد رسلان، الاتجاهات النظرية والمنهجية لدراسة الحراك الاجتماعي منذ التسعينيات، مرجع سابق، صـ39.

لقد عرف سكوت لاش Scott Lash ما بعد الحداثة بأنها ظاهرة اجتماعية ثقافية تقوم علي عدة مبادئ أهمها أنها ظاهرة تظهر تغيرات واضحة في التراتب الاجتماعي، وأصبح الانسجام الاجتماعي يتم علي أساس المصلحة المشتركة وليس علي أساس المكانة الطبقية. (3)

ويؤكد كل من باكولكسي Pakulski ووترز Waters علي أن مجتمعات ما بعد الحداثة هي مجتماعات المكانة، ولم تعد المهنة إلا مجرد عِلاقة (أو إشارة) مميزة للمكانة، هذا بالإضافه إلي الأبعاد الأخرى للمكانة التي أصبحت مشبعة قيميا، وذات طابع رمزي، وارتدادية أو انعكاسية، كما لم تعد الهُوِيَّة مرتبطة بأي مكان من الملكية أو الوضع التنظيمي (الذي يحدده النظام). (4)

3- ما بعد البنيوية: Post- Structuralism

يري أنصار تحليلات ما بعد البنيوية أن الطبقة هي دالة (وظيفة) اللغة والسرد القصصي وليست محصلة الظروف الاقتصادية أو حتي مجرد تطورات ثقافية. وتعلق جويس Joyce علي ذلك بأن الهويات الطبقية، أصبحت محصلة محاورات ومناقشات حول المعاني، وهي محاورات ذات طابع سياسي بالدرجة الأولي، حيث لم تعد الطبقة علي ما يبدو تجرِبة ثقافية جماعية للطبقات الاقتصادية الجديدة التي أدت إليها الثورة الصناعية. (1) وأكدت ما بعد البنيوية علي أن المعني لا يكون دائماً حاضراً ولكنه بواسطة دمجه مع أخر، أي إن دلالة المعني لا تظهر إلا في علاقتها بالكلمات الأخرى أو إلي المشار إليه، وبذلك تصبح عملية الدلالة هي المسئولة عن إبراز هذه المعاني. (2) تؤكد النظرية ما بعد البنيوية، ووفقاً لأفكار ديريدا علي أن: معرفة الحقيقة عن الواقع وفهم الرموز وتحليلها بمنزلة الإلية والوسيلة الضرورية لتحقيق المكانة، والحصول علي السلطة، والسيطرة علي ال الآخرين، ومن ثم يعد إدراك الاستجابة من المعرفة المباشرة للواقع أمراً مهماً وفقاً لدريد. وأوضح دريدا مثال الثقافات التي تسترشد بالمبادئ الدينية، يعتمد التسلسل الهرمي للسلطة فيها علي المعرفة بالكتب المقدسة للدين. (3) ويلاحظ أن ما بعد البنيوية كاتجاه نظري حديث – جنباً إلي جنب مع ما بعد الحداثة وتدعو إلي تغيير المفاهيم بصورة جذرية وكذلك تحويل استيعابنا لمفهوم الطبقة بما يفيد أنه لن يعد هناك وجود لهذا المفهوم أو ما يسميه البعض "وفاة الطبقة" أو "زوال الطبقة" Demise of the class. (4)

4- ما بعد الماركسية: Post-Marxism

ترتبط فكرة ما بعد الماركسية بكل من عالم الاجتماع الأرجنتيني أرنست لأكلاو Ernest Laclau وشينيل موفيه Chantal Mouffe، حيث بذلا جهداً كبيراً لتحديد المستوي النظري

والعملي لصياغتهما لما بعد الماركسية، وقام بانتقاد الماركسية الكلاسيكية؛ لأنها تعطي الأولوية للطبقة، ويري كل من

لأكلو وموفيه أن التناقض بين قوي الإنتاج وعلاقاته لا يستند إلي طبيعة العلاقات الاجتماعية ولكنه ينشأ بشكل استطرادي منطقي، وأن تناقضات الرأسالية مشكلات دلالية بسيطة أو نزاعات لغوية. (1)

ومن ثم فقد ركزت أفكار ما بعد الماركسية علي الطبيعة المشروطة والمكبة (المنتظمة) وفيها المصالح الطبقية التي أوجدها الحُوَار وليس موقع الفرد في النظام الاقتصادي تدعي ذلك الماركسية الكلاسيكية. فالبناءات توجد بداخل الأفراد تماماً كما يعرف المتحدث من قواعد اللغة وتركيبها الذي يشتمل عليها أو تحتويها عملية التحدث أو التخاطب ولكنها ضرورية سواء بالنسبة للفهم أو لتكوينها، وهذا يشير إلي أن البناء بهذا المعني هو محصلة كُلْيَة غائبة. (2)

رفض منظرو ما بعد الماركسية النظرية أحادية الجانب الذي تبنتها الماركسية التقليدية في التحليل الطبقي – والتي تتخذ الملكية مقياساً وحيداً للطبقة – واستخدموا عدداً من المفاهيم والنظريات في تحليل الطبقة، حيث استخدم لأكلو وجسوب Bob Jessop القوة والسلطة في تحليلات الطبقة، في حين اقتراح نييكوس بولانتراس Nico Poulantzes مفهوماً مركباً من السلطة والأيديولوجيا واستغلال كل شخصية في المصفوفة لتحديد طبقات متعددة، بينما جعل طومسون E.P. Thompson الطبقة أولاً وقبل كل شيء مسألة متعلقة بالوعي والإدراك. (3)

ثانياً:الاتجاهات النظرية المفسرة للصحة الإنجابية:

(1) المرجع نفسه، صـ40.

(2) شحاته صيام، سوسيولوجيا ما بعد الحداثة، مرجع سابق، صـ188.

(3) Nick J Fox, Post-structuralism and postmodernism in: The Willey-Blackwell Encyclopedia of Health, Illness Behavior and Society Colchester: Wiley, 2014, p4.

(4) يسري عبد الحميد رسلان، مرجع سابقً صـ40.

(1) Atilio A. Boron, Embattled Legacy: "Post-Marxism" and the social and political Theory of Karl Marx, Latin American Perspectives, Vol.27, Politics, Culture, and Postmodernism, Saga Publication, 2000, p51-54.

(2) يسري عبد الحميد رسلان، مرجع سابق، صـ40–41.

(3) Richard D. Wolff and Stephen Cull Enberg, Social text: Marxism and Post Marxism, No.15, Duke university press, 1986, p128-129.

بمراجعة التراث النظري المرتبط بموضوع الصحة الإنجابية، يمكن عرض بعض النظريات التي تناولت الصحة الإنجابية علي النحو الأتي:

1- نموذج المعتقدات الصحية: Health Beliefs Model

يشير نموذج المعتقدات الصحية إلي أن احتمال انخراط الفرد في سلوك صحي معين يتحدد بواسطة إدراكه للتهديد الصحي التي يطرحه الوضع الحالي وتقييمه للسلوك الموصي به. (1) ويتكون المعتقد الصحي من مفهومين رئيسين؛ وهما المعتقد الصحي العام، والمعتقد الصحي التعويضي. (2)

ويعد هذا النموذج من اكثر النموذجات المفسرة للسلوك الصحي ويهتم بتفسير كيفية تبني السلوكيات الصحية والتنبؤ بمدي إسهامها في الصحة، ويعد هذا النموذج دليلاً لتقييم عوامل اتخاذ القرار واستمرار السلوك الصحي. (3)

وقد تطور نموذج المعتقدات الصحية في الخمسينيات من قبل علماء النفس الاجتماعيين في دائرة الصحة العامة بالولايات المتحدة، أمثال إروين روزنستوك Irwin Rosen Stock، غورفوي هوشباوم Godfrey Hoh Baum، ستيفن كيجلز Stephen Kegel. (4)

وقد طور هذا النموذج نتيجة دراسة أجريت علي مرضي السل وذلك للكشف عن أسباب امتناع بعض الناس من الخضوع للكشوفات، وعن الأسباب التي حفزت بعض الناس لإجراء الفحوص ولاحظ Hochbaun أن الأكثرية من سكان الحي لم يخرجوا لإجراء الفحوص بالأشعة السينية فوجد بأن خطرهم المحسوس للمرض ومن العدوة ومخاطر الاشعة السينية كانت من بين العوامل الحاسمه في سلوكهم، ومن ذلك الحين عرف نموذج المعتقدات الصحية (HBM) بدايات ظهوره، حيث بدأ يطور لاستكشاف السلوكيات الصحية طويلة المدي، وقصيرة المدي بما فيها سلوكيات المخاطر الخبيثة و انتشار مرض السيدا (ويسمي سيدا بالإيدز AIDS). وفي سنة 1988 أُضيف مصطلح جدي

للنعتقدات الصحية وهو مفهوم فاعلية الذات، وذلك نظراً لدوره في تدعيم تغيير العادات السلوكية غير صحية (كالتدخين). (1)

ويعد نموذج المعتقدات الصحية أحد الأطر النظرية الأكثر استخداماً في بحوث السلوك الصحي، وذلك لشرح التغيير والحفاظ علي السلوكيات المتعلقة بالصحة وكإطار توجيهي للتدخلات السلوكية الصحية، وعلي مدي العقدين الماضيين تم توسيعه مقارنةً بالأطر الأخرى، وتم استخدامه لدعم التدخلات لتغيير السلوك الصحي. (2)

ووفقاً لنموذج المعتقدات الصحية فإن احتمال تبني سلوك وقائي بالنسبة للفرد يتم تحديده بواسطة أربع أنواع من الإدراكات، وهي كالأتي: (3)

- **القابلية المدركة للإصابة: بمعني اعتقاد الفرد الذاتي لوجود احتمال بأنه قد يُصاب بمرض معين أو عجز ما.**
- **الخطورة المدركة للمرض: أي مدى المترتبات السيئة إذا ما أصيبوا بالمرض أو العجز.**
- **الفوائد المدركة للفعل: وهي الفوائد المتوقعة التي ستحقق إذا مارس الفرد السلوك الصحي في هذا الموقف.**
- **المعوقات أو التكاليف المدركة: ويدو في نطاق هذه الفوائد مع تكاليف الفعل المدرك، هل ينطوي الفعل علي تكاليف مالية أو هل هناك حواجز أمامه، بالاضافة إلي الصعوبات التي يواجها في أداء هذا الفعل.**
- **ويعد نموذج المعتقد الصحي من الاتجاهات النظرية المؤثرة في تفسير الأسباب التي تدفع الأفراد لممارسة السلوك الصحي. وتبعاً لهذا النموذج فان معرفة فيما إذا كان الفرد سيقوم بممارسة السلوك الصحي يمكن أن يتحقق من خلال معرفة عاملين وهما:**

مدي إدراك الفرد لانه معرض لتهديد صحي علي المستوي الشخصي، وإدراكه بان ممارسات صحية معينة ستكون فعاله في التقليل من هذا التهديد. (1)

وينظر هذا النموذج للتصرفات الإنسانية بانها محدده منطقياً. ويعدّ السلوك الصحي في هذا النموذج وظيفة لعمليات الاختيار الفردية القائمة علي أساس الحسابات الذاتية للفوائد والتكاليف. ويتم هنا افتراض وجود قابلية مترابطة للتنبؤ بالاتجاهات المتعلقة بالصحة مثل إدارة الذات. (2)

وتمت مراجعة واستكمال هذا النموذج من طرف مينام و بيكر (Meinmanet Becker) حيث أضاف دور مواقف الأفراد التي تحدد من مستويين وهما: المستوي الفردي، المستوي الاجتماعي الديموغرافي. وللربطة بين الأنواع المختلفة للتصورات والسلوك الصحي المتوقع يؤخذ بعين الاعتبار المتغيرات الديموغرافية: (مثل العمر، الجنس، المهنة، العرق). والمتغيرات

---

(1) سعاد خشاب، عِلاقة المعتقدات الصحية بالسلوك الجنسي الأمنَ لدي المتزوجين، رسالة ماجستير، قسم العلوم الاجتماعية، كُلْيَة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج الأخضر– باتنا، 2010، صـ42.

(2) Glenz Karan, et al., Health behaviour and health education: Theory, Research, and Practice, John Willy & Sons, 2008, P.83.

(3) قارين رودهام، علم النفس الصحي، تَرْجَمَة: همام أحمد محمد، مرجع سابق، صـ61–62.

الاجتماعية والنفسية: (مثل الحالة الاجتماعية، الاقتصادية، الشخصية، واستراتيجيات المواجهة، وإدراك الكفاءة: (تقييم الفرد لذاته من القدرة لتبني السلوك المطلوب بنجاح). (3)

وإن مدركات الفرد المتعلقة بما يمكن أن يتعرض له من تهديد صحي علي المستوي الشخصي تتأثر علي الأقل بعوامل رئيسية ثلاثة هي

أ- القيم الصحية العامة: وهذه تتضمن الاهتمام بالصحة.

ب- والمعتقدات المحددة: والتي يحملها الفرد بخصوص إمكانية إصابته باضطرابات محددة.

ج- المعتقدات حول النتائج: والتي تترتب علي التعرض للاضطراب. (4)

د- وحسب نموذج المعتقدات الصحية ينفذ السلوك الوقائي عندما تكون خطورة المرض مرتفعه ويكون الاستعداد المدرك لذلك المرض عالي، وتكون الفوائد المتوقعة من ممارسة السلوك الوقائي معتبره. ويتم تنفيذ مثل هذا السلوك عندما يتوفر عدد من الشروط التالية. (1)

- عندما يدرك الفرد أن عدم ممارسته للنشاط الصحي الوقائي يعرضه لخط الإصابة بمر.

- قد تكون هناك عواقب وخيمة لامتناع الفرد عن اتخاذ إجراءات وقائية.

- أن تكون هناك فوائد متوقعة تعقب اتخاذ إجراءات وقائية وتكون الفوائد المتوقعه اهم بكثير من التكلفة.

- أن تتوفر قناعه ذاتية أن ممارسة النشاط الوقائي سينتج عنها النتائج الايجابية المتوقعة.

- أن تتوفر دوافع داخليه وخارجية تغذي السلوك الصحي الوقائي وتعززه.

2- نظرية الدور: The Role Theory

ظهرت نظرية الدور في القرن العشرين إذ تعد من النظريات الحديثة في علم الاجتماع. وتعتقد بأن سلوك الفرد و علاقته الاجتماعية إنما تعتمد علي الأدوار الاجتماعية التي يحتلها في المجتمع (2)، ثم أن مكانة الفرد الاجتماعية تعتمد علي الأدوار الاجتماعية. وذلك لان الدور

(1) شيلي تايلور، علم النفس الصحي، تَرْجَمَة: وسام درويش وفوزي شاكر داوود، دار الحامد، عمان، 2008، صـ125.

(2) هيام صابر شاهين واخرون، الوعي الصحي والتنبؤ بإدارة الذات لدي عينة من مرضي السكر، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد السابع عشر، 2016، صـ5.

(3) Lorrain M. Reiser, Health beliefs and Behaviors of Woman, Doctor of philosophy, University of Pitts burgh, faculty of Nursing in partial fulfillment, 2007, pp. 11.

(4) شيلي تايلور، علم النفس الصحي، تَرْجَمَة وسام دارويش وفوزي شاكر داوود، مرجع سابق، صـ2.

الاجتماعي ينطوي علي واجبات يحددها الدور الذي يشغله الفرد، وحقوق تحددها الواجبات و المهام التي ينجزها في المجتمع. (3)

ومن علماء الاجتماع الذين يعتقدون بنظرية الدور هم ماكس فيبر الذين تناولها بالدراسة والتحليل في كتابه "نظرية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي"، وهانز كرس ويسي ورايت ميلز في كتابهما الموسوم

"الطباع والبناء الاجتماعي"، وتالكوت بارسونز في كتابه الموسوم "النسق الاجتماعي"، وأخيراً ريبورت ماكيفر في كتابه الموسوم "المجتمع".(1)

ويعد مفهوم الدور من المفاهيم الأساسية في النظرية الاجتماعية، فهو يحدد لنا طبيعة التوقعات الاجتماعية المرتبطة بمكانات أو أوضاع اجتماعية معينة، ويحلل تفاصيل تلك التوقعات. (2)

ومصطلح الدور في أبسط معانيه تعبير استعاري عن الأنشطة الاجتماعية التي يباشرها أعضاء المجتمع في حياتهم اليومية، ويكمن وراء هذا التعبير الاستعاري اتجاهان فكريان مختلفان. ففي علم الاجتماع الوظيفي، ينظر إلي الدور باعتباره مجمعة من التوقعات السلوكية المفروضة علي الفرد بدرجة أو باخري، والتي تؤثر في تحديد هذا الدور وهكذا يحاط الدور بمجموعة من المعايير والقواعد والقيم، التي تحدد للفرد الطريقة التي يتبعها في أداء هذا الدور، و الفشل في أداء الدور بصورة ملائمة يعاقب عليه الفرد بشكل من أشكال الجزاء السلبي، ويُنظر إلي الدور في نطاق النزعة التفاعلية الرمزية بوصفها اكثر مرونة ولكونها تحتاج إلي بذل الجهد، تحقيق إنجاز، كما تحتاج إلي التفاوض وتستند هذه النزعة علي ما جاء في أعمال جوروج هربرت ميد 1934(3)، الذي ذهب إلي أن سلوك الاخرين يؤثر علي تعريف الشخص لدوره الفردي ما أسس لفكرة الذات والأخر وتميز جون ديوي John Dewey بفكرة أن دور الاجتماعي يأتي نتاجاً للتفاعل بين الحاجات النفسية وتوقعات الآخرين وطبيعة الوضع الاجتماعي. (4)

(1) إحسان محمد الحسن، النظريات الاجتماعية المتقدمة "دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة"، دار الوائل للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2015، صـ159.

(2) جوردن مارشال وآخرون، موسوعة علم الاجتماع، تَرْجَمَة: محمد الجهري، المجلد الثاني، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2000، صـ723.

ويعد مفهوم الدور من أعقد المفاهيم الاجتماعية، فهو نمط السلوك الذي يتوقعه آلآخرون من شخص يحتل مركزاً اجتماعياً معيناً خلال تفاعله مع أشخاص يشغلون هم آلآخرون أوضاعً اجتماعية أُخري (1)، كما يعرف الدور كعنصر في التفاعل الاجتماعي، ويشير إلي نمط متكرر من الأفعال المكتسبة التي يؤديها شخص معين في موقف تفاعل، ويعتقد "رالف لينتون Ralph Linton" ان المكانة هي مجموعة الحقوق والواجبات وان الدور والمظهر الدينمي للمكانة، فالسير علي الحقوق والواجبات معناه القيام بالدور وهذا هو التعريف الذي يستخدمه بارسونز "Parsons" في مؤلفه النسق الاجتماعي، رادكليف براون "Raddiffe Braun" في مؤلفه البناء والوظيفة في المجتمع البدائي، وروبرت مرتون "Robert Merton" في النظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعي. (2)

كما إن مفهوم الدور يحمل مجموعة من المفاهيم أهمها: (3)

نظام الدور: وهو التقسيم المتعدد الأدوار وفقاً للتقسيمات التي يفرضها النظام الاجتماعي والتخصصات في البناء الاجتماعي، ولكل دور وظائف وأهداف محدده .

أدّى الدور: وهو مجموعة من التفاعلات النفسية والاجتماعية للفرد مع العوامل المحيطة.

توقعات الدور: وتتمثل في التوقعات المنتظرة منه من قواعد وتفاعلات مع الآخرين حسب مكانته.

محددات الدور: أي محددات لسلوك الفرد داخل دور من الإدراك المشترك والمعايير والقيم التي يتقاسمها أفراد المجتمع.

وتركز نظرية الدور علي مفهومين رئيسيين وهما: المكانه الاجتماعية: ويقصد بها وضع الفرد في بناء اجتماعي يتحدد اجتماعياً، وترتبط به التزامات وواجبات تقابلها حقوق وامتيازات.

---

(3) إيمان محمد الصياد، المحددات الاجتماعية للسلوك الانجابي للمرأة الريفية: دراسة ميدانية لمحافظة كفر الشيخ، حوليات أداب عين شمس، مج45، عدد يناير – مارس2017، صـ64.

(4) جهاد عبد الملك عودة وسمير رمزي، نظرية الدور وتحليل السياسة الخارجية، المجلية العلمية للبحوث والدراسات التجارية، ع3، مج31، صـ584.

(1) عبد العزيز خواجه، مبادئ في التنشئ الاجتماعية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، صـ78.

(2) نخبة من أساتذة قسم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، د ت، صـ390.

(3) عبد العزيز خواجه، مبادئ في التنشئه الاجتماعية، مرجع سابق، صـ8.

والدور الاجتماعي: والذي يتضمن تلك الأفعال التي تتقبلها الجماعه في ضوء مستويات السلوك الثقافة السائده، وغالباً ما يكون للفرد عدة أدوار داخل النظام الاجتماعي الذي ينتمي إليه. (1)

وتشير هذه النظرية أيضاً إلي أن لكل جماعة اجتماعية بنياناً اجتماعياً يتركب من مجموعة من المراكز التي يشغلها أعضاؤها، ومجموعة من الأدوار المقترنةبتلك المراكز، وهي النماذج السلوكية المتوقعه المصاحبة لتلك المراكز وكما تري هذه النظرية كذلك إن جانبا كبيراً من السلوك البشري يتسق ويأخذ شكلا معيناً ليقابل التوقعات الاجتماعية المرتبطة بالمراكز الاجتماعية التي يشغلها الأفراد في البناء الاجتماعي، فتوقعات الآخرين تعمل كدليل يسترشد به الأفراد في سلوكهم ويوجه تصرفاتهم الاجتماعية وإن مفهوم الشخص لذاته يتكون من هذه التوقعات، وإذا ترسخت هذه التوقعات الاجتماعية فإنها توجه السلوك لدي الأفراد. (2)

كما تري نظرية الدور أن المرأة عضو في القوة العاملة (بأجر أو دون أجر) وأم وقريبة، وعضو في المجتمع، وفرد يتمتع بأوقات الراحة، ومن ثم يجب علينا أن ننظر إلي مكانة المرأة كمجموع أو مركَب، فكل دور من أدوار المرأة هو في الحقيقة مصدر لمكانتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فمن الطبيعي أن يكون لكل دور ملامحه الخاصة أو سلوكيات خاصة به. (3)

3-نظرية التفاعلية الرمزية: Symbolic interactionism theory

تعد التفاعلية الرمزية Symbolic Interactionism احدي المنظورات السوسيولوجية المعاصرة. ومن ابرز ممثلي التفاعلية الرمزية وليام جيمس (William James) واتشارلز كولي (C. H. Cooley) وجون ديوي (John Dewey) ، ووليام إ.توماس (William Tomes) وجورج هربرت ميد (G. H. Med) وهيربارت بلومار (Herbart Blumer). (4)

---

(1) أحمد ذكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، 1996، صـ395.

(2) العزبي محمد إبراهيم، المشاركة الشعبية في المجتمع المحلي، دراسات في التنمية الريفية، مركز الدراسات العلمية، الإسكندرية، 1999، صـ41.

(3) إيناس حسام الدين عبد الخالق، دور المرأة في التنشئة الثقافية، الخُرْطُوم بحري بجمهورية السودان: دراسة في الأنثرويولوجيا الثقافية، رسالة دكتوراه في الفلسفة، قسم أنثروبولوجيا، معهد البحوث الأفريقية، 2015، صـ10.

تعتقد هذه النظرية أن الحياة الاجتماعية التي نعيشها ما هي إلا حصيلة التفاعلات التي تقوم بين البشر والمؤسسات والنظم وبقية الكائنات الحية. وهذه التفاعلات تكون ناجمة عن الرموز التي كونها الأفراد نحو الأخرين بعد التفاعل معهم وهذا الرمز قد يكون إيجابياً محبباً أو سلبياً مكروهاً وطبيعة الرمز الذي نكونه عن الأشخاص أو الفئات هو الذي يحدد علاقتنا به. (1)

ويعد منظور التفاعلية الرمزية محاولة نظرية ومنهجية تنهض علي أسس فلسفية وسيكولوجية تتطلع إلي فهماً عميقاً وأكثر ثراء للسلوك الإنساني، والعلاقات الاجتماعية، بل والعالم الحياة اليومية برمته. (2)

وظهرت التفاعلية الرمزية كاتجاه فكري يحاول أن يصور الاحتمالات الممكنة التي تواجه عملية التفاعل بين لأفراد، وخاصةً فيما يتعلق بتكوين الذات Self ويمثل هذا الاتجاه "جورج هربرت ميد"، و "هربرت بلومر" فالتفاعل الإنساني من وجهة نظرهما عملية تكوين إيجابية لها أسلوبها الخاص، ويحدد المشتركون اتجاهات سلوكهم وفق تفسيرات دائمة للأفعال التي يقوم بها الآخرون، كما يعدل الآخروناستجابتهم، ويعيدون تنظيم مقاصدهم ورغباتهم ومشاعرهم حسب هذه التفسيرات، لكي يستطيعون التوافق مع موقف التفاعل. (3)

ويعدّ إتشارلز كولي (C. H. Cooley) وجورج هربرت ميد (G. H. Med) من أهم رواد التفاعلية الرمزية في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد قام كل منهما بدراسة المجتمع علي اعتبار أنه نتاج التفاعلات بين الناس الذين تعلموا تفسير مجموعة متنوعه من الرموز كما قام كل منهما بدراسة العملية التي عن طريقها يقوم الناس بتطوير تصوراتهم عن أنفسهم أو المفاهيم الذاتية بواسطة تفاعلاتهم مع بعضهم البعض. (4)

وتفترض التفاعلية الرمزية وجود شخصين متفاعلين عبر الأدوار الوظيفية والتي يشغلنها فكل منهما يحاول معرفة سمات وخواص الأخر عبر العِلاقة التفاعلية التي تنشأ بينهما. يحدث التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والشاغلين للأدوار اجتماعية معينة ويأخذ زمناً يتراوح بين أسبوع إلي سنة بعد الإنتهاء من التفاعل يكون الأفراد الفاعلون صورة رمزية ذهنية

---

(4) طلعت إبراهيم لطفي وكمال عبد الحميد الزيات، النظريه المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب للطباعه والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، صـ120.

(1) إحسان محمد الحسن، النظرية الاجتماعية المتقدمة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2015، صـ79.

عن الأفراد المتفاعلون معهم هذه الصورة لا تظهر حقيقة الأفراد وإنما هي بمنزلة انطباع أو صورة رمزية كونها عنه قد تكون إيجابية أو سلبية. (1)

ويعرف هربرت بلومر التفاعل الرمزي في كتابة التفاعلية الرمزية Symbolic Interactionism بينه "خاصية مميزة وفريدة للتفاعل الذي يقع بين الناس، وما يجعل هذا التفاعل فريداً هو أن الناس يفسرون أفعال بعضهم بدلا من الاستجابة المجردة لها، والاستجابة لا تتم قاصدًا وإنما تستند إلي المعاني التي يضيفنها علي أفعالهم". (2)

ويرتكز التفاعل الرمزي كما يعرفه هربرت بلومر علي ثلاث مقدمات منطقية وهي:

1- أن الكائنات الإنسانية تسلك إزاء الأشياء في ضوء ما تنطوي عليه هذه الأشياء من معاني ظاهره لهم.

2- أن هذه المعاني هي نتاج التفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.

3- أن هذه المعاني تتشكل بواسطة عملية التأويل التي يستخدمها كل فرد في تعامله الرموز التي تواجه. (3)

وتستند لنظريه التفاعلية الرمزية علي سبع مبادئ أساسية يمكن توضيحها علي النحو الأتي:

1- يدخل الأفراد في علاقات بعضهم ببعض لمدة قد تكون قصيرة أو طويلة.

2- هذه العلاقات تكون في الجمعات الصغيرة أو متوسطة الحجم بحيث يتعرف كل فرد علي الفرد الآخر.

3- بعد تكوين هذه العِلاقة يبدأ كل فرد بتقييم الفرد الأخر، والتقييم قد يكون إيجابياً أو سلبياً بناءاً علي الصورة الذهنية التي كونها الفرد نحو زميله خلال عملية التفاعل.

4- عاجلاً أو أجلاً يصل تقييم الجماعة للفرد المقصود بالتقييم عبر عملية الاتصال بالتفاعل.

---

(2) سامية مصطفي الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1987، صـ444.

(3) حسني إبراهيم عبد العظيم، مقدمة في سوسيولوجيا الاقتصاد، دار الكتاب الجامعي، بني سويف، 2011، صـ31.

(4) طلعت إبراهيم لطفي، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، مرجع سابق، صـ109.

(1) إحسان محمد الحسن، النظرية الاجتماعية المتقدمة، مرجع سابق، صـ83.

(2) محمد عبد الكريم الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفية والصراع، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 2008، صـ28.

5- إذغ كان تقييم الجماعة للفرد إيجابياً فإن الفرد يقيم نفسه إيجابياً، بينما إذا كان تقييم الجماعه للفرد سلبياً فإن الفرد بدوره يقيم نفسه تقييماً سلبياً، إذاً تقييم الفرد لنفسته يعتمد علي تقييم الجماعه أو المجتمع له.

6- المجتمع الإنساني عباره عن نسيج معقد من التفاعلات والانطباعات والتقييمات الاجتماعية التي يكونها الأفراد بعضهم نحو البعض الأخر.

7- التفاعل الاجتماعي الذي يكونه الفرد مع الاخرين إنما يعتمد علي طبيعة التقييم الذي حصل منه. إذا كان التقييم إيجابياً فإن الفرد يكون عِلاقة إيجابية مع الجماعة التي قيمته، بينما إذا كان التقييم سلبياً الذي جاء من الجماعة إلي الفرد، فإن الأخير لا يمكن أن يكون مع الجماعه سوي العِلاقة السلبية القائمة علي التجنب والتشكيك والكراهية والبغضاء بل وقطع العِلاقة بصورة كُلْيَة. (1)

4- نظرية الرأسمال: Capitalism theory

يعدّ بييربورديو (1930-2002) Pierre Bourdieu من أشهر من منظريها و يعود إليه الفضل في إعادة اكتشاف المفهوم. (2) ويمثل رأس المال مفهوماً مركزياً في المشروع النظري لبورديو، و المفهوم مستمد من علم الاقتصاد الكلاسيكي، و يعني الثروة المتراكمة، فقد وسع بييربورديو فكرة رأس المال المطروح في علم الاقتصاد، و في النظرية الماركسية بحيث أصبح يتضمن رأس المال النقدي و غير النقدي و الصور المادية الملموسة أو الصور اللامادية (غير الملموسة). (3)

إن استخدام بورديو لمفهوم رأس المال لا يقتصر فقط علي البعد الاقتصادي "الكلاسيكي" الذي

(3) طلعت إبراهيم لطفي وكمال عبد الحميد الزيات،النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، مرجع سابق، صـ125.

(1) إحسان محمد الحسن، النظرية الاجتماعية المتقدمة، مرجع سابق، صـ74-75.

(2) انجي محمد عبد الحميد، دِقَّة المجتمع المدني في تكوين رأس المال الإجتماعي: دراسة حالة الجمعيات الأهلية في مصر، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد و العلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2009، صـ31.

(3) حسني إبراهيم عبد العظيم، الجسد و الطبقة و رأس المال الثقافي: قراءة في سوسيولوجيا بييربورديو، القاهرة، مجلة إضافات، العدد الخامس عشر، 2011، صـ62.

يرتبط مباشرة بالثروة، و إنما يتجاوز ذلك إلي أبعاد أخري متنوعة. فهناك عدة صور لرأس المال المال، مثل رأس المال الثقافي، و رأس المال الإجتماعي، و رأس المال الرمزي. (1)

يشير رأس المال الرمزي إلي "درجات المكانة التي يكتسبها الفرد، ويتم التعبير عن هذه المكانه أو القوة الرمزية من طريق علامات التمييز داخل كل مجال، تلك العلامات التي تعمل علي إبراز و تأكيد المكانة الاجتماعية". (2) و يقصد بورديو برأس المال الرمزي Symbolic Capital تلك الموارد المتاحة للفرد نتيجة امتلاك سمات محددة، كالشرف Honour و الهيبة Prestige، السمعة الطيبة، السيرة الحسنة التي يتم إدراكها و تقسيمها من جانب أفراد المجتمع. (3)

ويشير رأس المال الرمزي إلي المكانة الاجتماعية التي تمنحها الجماعة للفرد نتيجة لما يتمتع به من مزايا، و يقصد بها الوضع أو المركز الاجتماعي. (4)

و كما يري بورديو أن رأس المال الرمزي هو مثل أية ملكية أو أي نوع من رأس المال – طبيعي، ثقافي اقتصادي، اجتماعي يكون مدركاً من قبل فاعلين اجتماعيين تسمح لهم مقولات إدراكهم بمعرفتها و الإقرار بها، و منحها قيمة. (5)

و يؤكد بورديو أن رأس المال الرمزي يتأسس علي القبول أو الاعتراف أو الاعتقاد بقوة أو بسلطة من يملك مزايا أكثر، أو شكلا من الاعتراف بالشرعية،

أو قيمة معطاة من الإنسان، و يرتبط هذا المفهوم بمبدأ السلطة و مبدأ التميز أو الاختلافات (في الخصائص) و مبدأ الأشكال المختلفة لرأس المال. و يدخل مختلف الحقول و أشكال السلطة أو الهيمنة، أو في أشكال العلاقات. (1)

(1) Iasi Ozturk, Pierre Bourdieu's Theory of social action, social Biller Enstitusu Dergisi, Turkey, university of Mugla, 2005, P.147.

(2) John Field, social capital, London, Routledge, 2003, P.13.

(3) Pierre Bourdieu, The Social Space and the Genesis of Groups, social science – for motion, vol.24, No.2, 1985, P.197.

(4) انجي محمد عبد الحميد، مرجع سابق، صـ 33.

(5) بييربورديو، أسباب عملية: إعادة النظر الفلسفة، تعريب/ أنور مغيث، بيروت، دار الأزمنة الحديثة، 1998، صـ 136.

و يدخل رأس المال الرمزي مختلف العقول و المجالات، و مختلف أشكال السلطة و الهيمنة في مختلف العلاقات الاجتماعية، و يرتبط رأس المال الرمزي بأهمية الموقع الذي يشكله الفرد في القضاء الإجتماعي من جهة و القيمة التي يصنفها الناس عليه من جهة أخري، و هذه القيمة تتعلق بتصورات الأشخاص المتوافقة مع البني الموضوعية القائمة. (2)

و يرتكز رأس المال الرمزي علي الذيوع و الانتشار Publicity و الاستحسان appreciationإنه يرتبط بالهيبة و السمعة و الشرف، التي تلاقي تقديراً من الاخرين، إن رأس المال الرمزي يمكن اعتباره رأس مال من الشرف و الهيبة Capital of Honour and Prestige و يتطلب تراكم هذا الشكل من رأس المال جهداً متواصلاً من أجل الحفاظ علي العلاقات التي تؤدي إلي الاستثمار المادي و الرمزي له. (3)

(1) حسني إبراهيم عبد العظيم، مفاهيم سوسيولوجية حديثة، الحُوَار المتمدن، العدد 3979، 2013/1/21، 12:46م.

(2) حسني إبراهيم حسن، الجسد و الطبقة رأس المال الثقافي، مرجع سابق، صـ 65، 66.

(3) Christian Fuchs, some Implications of Pierre Bourdieu's works of a theory of social self-organization, European Journal of social theory, Vol.6, no.4, 2003, P.392.